ISSN : 2543-3938 - EISSN : 2602-7771

المراكز الاجتماعية والتربوية أهدافها، إدارتها ونهايتها المأسوية

Social and educational centers: their goals, their management and their tragic end

عبد القادر مغزيلي

المركز الجامعي نور البشير – البيض (الجزائر) ، meghziliabdelkader@gmail.com

تاريخ الإستلام: 21/ 08/ 2022 تاريخ القبول: 13/ 01/ 2023 تاريخ النشر: 18/ 02/ 2023

ملخص :

زاوج الاستعمار الفرنسي بين سياسة العصا والجزر منذ البدايات الاولى للاحتلال من خلال إجراءات لافيجري ثم توالت السياسات الاستعمارية خصوصا في مجال التعليم والتكوين، حتى وإن وضعها بعض المختصين في سياقات تاريخية مختلفة، ومع اشتداد ضربات الثورة وتزايد عدد المتعاطفين مع الشعب الجزائري الذي عانى كثيرا من سياسة التجهيل والاقصاء، من بعض المثقفين من اتباع اليسار الفرنسي، لذا ولدت فكرة انشاء المراكز الاجتماعية لتعليم البنات والبنين حرفا تتناسب ومؤهلاتهم العقلية والجسمية، والعمل على محو الامية في اوساط الأهالي، من هنا تخمرت الفكرة عند "تيون" وغيرها، حيث اعطت مع الوقت نتائج طيبة انعكست ايجابا على الأهالي، غير ان يد اجرام oas,l انهى الحلم قبل ان يجني أبناء الجزائر ثماره.

الكلمات المفتاحية: المراكز الاجتماعية، الاهالي، الحرف اليدوية، محوالامية.

***

Abstract:

French colonialism coupled the policy of sticks and islands from the very beginning of the occupation through Lavijri procedures. Then colonial policies followed, especially in the field of education and training, even if some specialists placed them in different historical contexts, and with the intensification of the blows of the revolution and the increasing number of sympathizers with the Algerian people who suffered There was a lot of ignorance and exclusion policy, from some of the intellectuals of the French left, so the idea of establishing social centers to educate girls and boys was born in letters commensurate with their mental and physical qualifications, and work to eradicate illiteracy among the people. Over time, it gave good results that reflected positively on the people, but the hand of Ijram, l, oas, ended the dream before the sons of Algeria reap its fruits.

Keywords: Social centers, people, handicrafts, literacy.

ا. مقدمة

الاستعمار ليس وجه واحدا عبارة رددتها الدوائر الإعلامية و السياسية من خلال المتابعة الدقيقة لتحرك الآلة الاستعمارية سواء الفرنسية أو الإنجليزية، و من ذلك الاستراتيجية الاستعمارية الفرنسية في الجزائر.

حيث عملت فررنسا على تنويع إجراءاتها ما بين الترهيب الممارس ضد الشعب الجزائري، و الترهيب من خلال الإجراءات الإصلاحية التي سعت من خلالها امتصاص غضب الجزائريين، و من تلك الإجراءات زيادة عدد المتمدرسين من أبناء الأهالي، فتح مجال التوظيف و انكان على مستوى ضيق، غير أن الهدف من تلك الإجراءات كان لافساد المراكز الاجتماعية و التربوية.

فما هي طرق انشائها؟ و ما الدور الذي لعبته هذه المؤسسات في ترقية العمل الاجتماعي؟ و كيف تعامل معها الأهالي؟ و كيف كانت نهايتها؟.

ا. السياق التاريخي لظهور المراكز الإجتماعية في الجزائر

إن الواقع العام للجزائر قد عرف تدهورا كبيرا، وذلك في جميع المجالات سواء أكانت اقتصادية أو سياسية، اجتماعية أو تعليمية، فثلثا المجتمع يعاني المجاعة.(Serge Jouin, Thèse de Doctorat: 59)*(حنان على عواضة، 2012: 645)*، وأكثر من ثمانين في المائة من الأمية، فنحن أمام مجتمع يعاني شحا في التخصصات العلمية التي يمكنها تقديم الإضافة ورفع الغبن عن الجزائريين، فلا نجد أكثر من طبيب واحد لكل 5000 جزائري وصيدلي واحد لكل 15000 مواطن، في الوقت الذي يخدم ألف فرنسي طبيب واحد وصيدلي لكل ألفي مواطن أوروبي، وهي أرقام مطابقة للمواصفات الدولية، أما تعليميا فقد أشار «كاب ديكوم» إلى أن المدرسة الجزائرية تعرف تقهقرا في عدد الإطارات التعليمية، فعلى سبيل المثال لا الحصر نجد مفتشا جزائريا واحدا للطور الابتدائي مقابل خمسين مفتشا فرنسيا، إلى جانب الأقسام المكتظة حيث يصل عدد التلاميذ من أبناء الأهالي إلى 55 تلميذ في القسم في الوقت الذي لا تتعدى أقسام أبناء المعمرين 28 تلميذا كحد أقصى.

لذا فمن الواجب معرفة السياق التاريخي لظهور هذه المؤسسات لإدراك خلفيات نشأتها و تحديد أهدافها، فاحتلال الجزائر الذي قارب 127 سنة (إلى غاية 1955)، أفرز وضعا مترديا مس جميع المجالات بدءا من واقع سياسي مضطرب إلى وضع اجتماعي واقتصادي مزر إلى تعليم مهترئ ومتراجع حسب ما يشير إليه الجدول التالي (:Laurent Cap decomme, Op.cit., p 02.)

	المسلمـــون			غير المسلميـــن		
السنوات	1954	1955	1956	1954	1955	1956
نمط التعليم						
الطور الثاني	14.3%	14.2%	-61.4%	05%	6%0	2.9%
الطور الأول	9.3%	13.8%	-47.3%	7.86%	4.2%	-5%

التعليم الفرنسي الإسلامي	14.7%	16.8%	-80.4%	-	-	-
التعليم التقني من الدرجة الثانية	22.6%	1.8%	-32.7%	7.7%	10.2%	0.6%
التعليم المهني	16.5%	2.6%	-29.1%	11.2%	3.8%	3.4%
CCEG	13%	11%	7.8%	12.3%	-1.8%	5.1%

الجدول 1: تطور نسب تمدرس أبناء الأهالي بعد اندلاع الثورة

المصدر: SergeJouin: l'Ecole en Algérie de 1830 à 1962, de la régence aux centres sociaux éducatifs

وأمام هذا الوضع الذي يرفض فيه الأوروبيون كل أشكال الإصلاح التي من شأنها تقديم خدمات للأهالي والذين يعتبرونهم مواطنين من الدرجة الثانية أو الثالثة، الموجودين فقط لخدمة الأوروبيين وهي الروح التي غرسها الاستعمار منذ بداياته ؛ وبالعودة إلى الأرقام الرسمية الفرنسية نجد أن 80% من الجزائريين يقطنون الريف مقابل 80% من الأوروبيين يحتكرون المدينة وكل منشآتها السياسية والاقتصادية، فالأول يمتلك القوة العددية والثاني أدوات الحكم والسلطة وبينهما عداوة كبرت مع سنوات الاحتلال، وعليه فحتى وإن التقت المصالح أو تقاطعت بين الحين والآخر فإن الوضع مؤهل للانفجار وهو ما عبر عنه ماكس مارشون Max Marchand (مدير المراكز الاجتماعية والتربوية، اغتالته منظمة الجيش السري(OAS) في 15 مارس 1962 مع خمسة من النشطاء في المجال الثقافي منهم مولود فرعون.) بقوله: «لم تهن كرامة إنسان كما أهينت في الجزائر وهذا في جميع المجالات والميادين دينيا واجتماعيا وثقافيا .... أيها الرفقاء إن الوضع قابل للانفجار»*

II. انشاء المراكز الاجتماعية التربوية

من هنا كانت فكرة إنشاء هذه المراكز الاجتماعية، والتي لم تكن جديدة عن المجتمع الأوروبي والفرنسي، فقد افتتح أول هذه المراكز في إنجلترا عام 1894، وأما في فرنسا فكان أول مركز بها بباريس عام 1896، ومن ثمة تم نقل التجربة إلى الجزائر في عهد الحاكم العام الفرنسي جاك سوستال (فرنسي من أصول يهودية عين حاكما عاما في الجزائر من 1955/01/26 إلى 1956/01/31) وذلك باقتراح من عالمة الأجناس «**L'Ethnologue**» جارمان تيون (1907-2008 عالمة أجناس **ethnologue**، ومقاومة فرنسية ضد النازية، أول امرأة تحصل على وسام الشرف، عضو مكتب الحاكم العام جاك سوستال) (**GermaineTillion**). مع العلم أن هناك تجربة في هذا المجال قد سبقت خلال سنة 1950 بإنشاء مركزين في العاصمة(**Bulletin de la Fédération des Centres Sociaux de France, juin** 1956 :01).

وهكذا تم إصدار مرسوم 27 أكتوبر 1955 الذي ينص على إنشاء هذه المؤسسات، والصادر بالجريدة الرسمية بتاريخ 04 نوفمبر 1955 وقد أضيفت له مهمة تحضير الأطفال للتمدرس بموجب أمرية 20 أوت 1958 الصادرة بالجريدة الرسمية بتاريخ 25 أوت 1958.

III. أهداف المراكز الاجتماعية:

1 - تقديم معارف قاعدية للأميين ذكورا وإناثا (القراءة والكتابة والحساب).
2 - تحسين المستوى المعيشي (المسكن، الوظيفة ...)
3 - بعث روح التفوق والرغبة في تحسين المستوى لرواده.
4 - توجيه الأهالي للاستفادة من مختلف الهيئات الخدماتية التي يجهلون وجودها مثل الرعاية الصحية، الضمان الاجتماعي والخدمات الاجتماعية.
5 - تطوير التجمعات الفقيرة ودعمها.
6 - تكييف المراكز وحاجيات الأهالي حسب كل منطقة

IV. إدارة المراكز:

بموجب مرسوم 27 أكتوبر 1955 ووفقا للمادة الأولى منه تم إنشاء مصلحة باسم المراكز الاجتماعية داخل المديرية العامة للتربية الوطنية بهدف إنشاء وتنشيط النشاطات الاجتماعية، وقد تم تعيين السيد M. Aguesse لتسيير هذه المصلحة، وقد تعزز هذا المرسوم بأمرية 20 أوت 1958 التي جاء في مادتها الثانية ضرورة توسعة المراكز الاجتماعية في غضون الثمان سنوات القادمة أي إلى غاية 1966 ليصل إلى120مركزا (Serge Jouin, Thèse de Doctorat: 78)، وقد قدرت السلطات الفرنسية الحاجة إلى ما يزيد عن 700 مركز بحلول سنة 1966، لاحتواء الأطفال الجزائريين الذين عجزت المدرسة على احتواءهم، ثم عرفت التشريعات المنظمة للمراكز تطورا جديدا تمثل في ما يلي:

مرسوم رقم 59/896 بتاريخ 30جويلية1959:

وهو المرسوم الذي أعاد تنظيم المراكز وغيّر من هيكلها القانوني وقد جاء في ثلاث مواد:

المادة الأولى: نصت على تغيير التسمية إلى المراكز الاجتماعية والتربوية وبالتالي أصبحت تحت إدارة المدير العام للتربية الوطنية في الجزائر (مدير أكاديمية الجزائر)

المادة الثانية :قد حددت تركيبة إدارة المركز و جاءت على النحو التالي:

- مدير المراكز (مدير الأكاديمية).
- رئيس مصلحة يعينه الحاكم العام.
- مفتشون (حسب الحاجة).

كما تم إنشاء قسم بيداغوجي متخصص (وفق التخصصات الموجودة).

المادة الثالثة: أشارت إلى أن إنشاء هذه المراكز يتم عن طريق الهيئات المدنية المختصة باقتراح من مفتش الأكاديمية..(le bulletin des CSE N°12: 10-12)

V. مهام المراكز:

5-1: النشاطات الصحية:

حيث وفرت قاعات للعلاج بتجهيزات بسيطة، يشرف عليها ممرض أو مساعد ممرض، يقدم العلاجات الأولية بينما المهمة الرئيسية لهذه القاعات هي تقديم تربية صحية ومعرفة شروط النظافة، ما يجعلنا نقول إن دورها توعوي أكثر منه خدماتي.

5-2:المهام الاجتماعية:

تتمحور المهام الاجتماعية للمراكز حول توجيه وتكوين وإعلام روادها بخصوص القضايا الإدارية والضمان الاجتماعي ورعاية الطفولة.

5- 3:محو الأمية للمراهقين والمراهقات:

تعتبر من أهم نشاطات المراكز بحيث تعمل على محو الأمية لهذه الفئة لكونها قريبة من اقتحام عالم الشغل ولم يسبق لها الاستفادة من أي تكوين أو تعليم، بهدف ملء الفراغ الذي عجزت عنه المدرسة.

VI. -التكوين المهني للمراهقين:

حرصت هذه المراكز على تقديم تكوين متعدد لهذه الفئة العمرية، من 14إلى17 سنة على مدار تسعة أشهر من أجل حسن استعمال الأجهزة البسيطة يوجهون بعدها إما إلى عالم الشغل أو إلى تكوين مهني للكبار، مع العلم أن مراكز الريف تختص بالتكوين الفلاحي.

VII. التكوين الأسري:

يقتصر على تدريس الفتيات من10إلى15 سنة وتدريبهن على تدبير شؤون البيت وحاجياته، وإلى كل ما تحتاجه الأم من خياطة، لوازم الطفل، الغسيل ؛ يدوم هذا التكوين من 08إلى10أشهر.

7-1: التعليم التحضيري:

وهو تعليم مكيف للأطفال من 08إلى10 سنوات ممن لم يسبق لهم الالتحاق بالمدرسة الابتدائية، فتقدم لهم دروس من 10إلى15 ساعة أسبوعيا خلال سنتين على الأكثر يتعلمون خلالها القراءة والكتابة والحساب والمحادثة، وقد حدد لكل مركز 200 تلميذا سنويا على الأقل لتكوينهم، كما تجدر الإشارة إلى أن هذه المراكز لم تكن بديلا عن المدرسة ولم تخلفها، بل عمدت إلى استيعاب من لم يتمكنوا من الظفر بمقعد دراسي بشكل منتظم.

VIII. الورشات الحرة للبالغين:

وهي ورشات تستقبل الرجال والنساء على حد سواء لتمكينهم من ممارسة هواياتهم اليدوية (الصباغة، الصناعة الخشبية، التلحيم أو الخياطة بالنسبة للنساء).

على الرغم من المعيقات التي حالت دون تحقيق المراكز لأهدافها المسطرة إلا أنها استطاعت أن تقدم ولو القليل للأهالي سواء على مستوى التعليم أو المهن اليدوية.

IX. النهاية المأساوية للمراكز:

في ظل تسارع الأحداث ووصول الوفدين الجزائري والفرنسي إلى صيغة نهائية توجب وقف إطلاق النار، وانتظار الاستفتاء حول تقرير المصير، سارعت منظمة الجيش السري (OAS) إلى تنفيذ جرائمها من أجل تقويض اتفاق وقف إطلاق النار، فكان من ضحاياها يوم 15 مارس 1962 وعلى الساعة العاشرة صباحا وثلاثين دقيقة، أعضاء مجلس إدارة المراكز وهم على التوالي:

- ماكس مارشونMax Marchand(مدير المراكز).

وخمسة مفتشين هم:

- مولود فرعون.
- علي حمونان.
- صالح ولد عاودية.
- روبير إيمار Robert Aymard
- مارسالباسيت Marcel Basset

وفي الختام لا يمكننا أن نقيم أداء هذه المراكز بالسلبي وذلك لما قدمته من خدمات للأهالي على الرغم من كل المعيقات التي اعترضت طريقها، وكذا الخلافات داخل هذه الهيئة (Serge Jouin, Thèse de Doctorat: 79)، التي عملت على تقديم خدمات وتحسين المستوى التعليمي للفئات المحرومة من أبناء الأهالي، وما يعزز هذا الكلام الدراسة التي أجريت عام 1967والتي تشير إلى أن 117 مركزا اجتماعيا تربويا قد تم إدماجها ضمن المراكز التربوية الشعبية التي أنشئت بعد الاستقلال، كما أن تقديرات افتراضية تقول بأنها وفرت الدراسة لـ 12 ألف طفلا (Serge Jouin, Thèse de Doctorat: 81).

X. خاتمة:

تعليمات التصفية الجسدية التي أشرنا إليه سلفا تكون قد صورت صفحته من صفحات الاستعمار في شكله الناعم على حد يغير – المفكر الأمريكي –ناعي- صاحب مصطلح القوة الناعمة، غير أن التساؤلات التي طرحناها أو تلك التي لم تطرح ، لا تزال قائمة و لا يزال التاريخ يحصر في مفاوضات الحاضر فإلى أي مدى حققت تلك المراكز أهدافها؟ ثم ألم يكن حري بنا أن نضع انشاءها في سياق آخر غير الذي طرحناه و هو الدور الذي لعبته الدول المستعمرة، منها رفع العبئ عن الأهالي؟ و هو الرأي الذي تعززه أعداد المكونين في مختلف التخصصات العينية و النفسية و من الجنسين.

إن هذه المراكز استطاعت أن توفر خيرات حرفية استفادت منها مختلف القطاعات في الجزائر ما بعد الاستقلال و بقي التنافس مفتوحا من خلال شوال احرافي لما لم نعمل سلفا، الجديد على استكمال الخيرية مع أصدقاء الجزائر من الأوراس الذين فضلوا البقاء و خصوصا مع الصراع التي استطاعت تحقيقها و هو الأمر الذي تناوله غيرنا بالبحث.

XI. قائمة المصادر والمراجع:

1- Serge Jouin:« Max Marchand, 1911-1962, de la France à l'Algérie, Biographie d'un Enseignant », Thèse de Doctorat, N.R.T, Lille, p. 59.

2- Bulletin de la Fédération des Centres Sociaux de France, N° 40, juin 1956, p. 01.

3- التفاصيل موضحة في« le bulletin des CSE N°12 p.10-12. »